متابعة

عُمان ضيف شرف وسور الأزبكية لأوّل مرّة

معرض الدوحة للكتاب

في الدورة الأكبر منذ انطلاق أوّل معرض للكتاب في قطر عام 1972، تحضر في المعرض، الذي افتتحت فعاليات دورته الثالثة والثلاثين أمس، قرابة 500 دار نشر من 42 بلداً عربياً وأجنبياً، ويُقام على هامشها برنامج يتضمّن عدداً من الندوات والعروض المسرحية والموسيقية

الدوحة ـ **محمد هديب**

تحت شعار «بالمعرفة تبنى الحضارات»، بدأت أمس في الدوحة الدورة الثالثة والثلاثون من «معرض الدوحة الدولي للكتاب» وتستمر حتى 18 مايو/ أيار الجاري، في «مركز الدوحة للمعارض والمؤتمرات»، بمشاركة 515 دار نشر من 42 دولة، ما يتيح عرض أكثر من 180 ألف عنوان. واختيرت سلطنة عُمان ضيف شرف هذه الدورة، وهي تشارك بجناح كبير منوّع، إضافة إلى جملة من الفعاليات على مدار أيام المعرض، تتضمّن الأمسيات والندوات والعروض الموسيقية والأدائية من الفلكلور العُماني. وقال خلفان العبري، مدير «دائرة شؤون معارض الكتاب» في وزارة الثقافة العُمانية لـ«العربي الجديد» إن زوّار الجناح سيتعرّفون إلى نوادر المخطوطات العُمانية ومنتجات معرفية متنوّعة من المؤسسات الحكومية ومؤسسات المجتمع المدني، وإلى ركن خاص للضيافة يتعرّف من خلاله الزائر إلى العادات والتقاليد، وآخر للتعريف بالمقوّمات الثقافية والسياحية من خلال توزيع المعلومات السياحية، وهي بمساهمة من وزارة التراث والسياحة.

وضمن البرنامج الثقافي، قال إن العديد من الأمسيات الشعرية ستُقام بشقّيها الفصيح والشعبي، إلى جانب ندوات متخصصة في العلاقات الثقافية بين عُمان وقطر، وأخرى في التاريخ العُماني وتحديداً منه البحري.

وذكر العبري أن عدد دور النشر المشاركة بلغ 13 دار نشر، بالإضافة إلى مشاركة المؤسسات الحكومية مثل وزارات الثقافة والإعلام والتراث والسياحة و«جامعة السلطان قابوس»، ليصل عدد المؤسسات ودور النشر التي خصصت لها الأجنحة المعنية بإصدارات الكتب وغيرها إلى 17.

وإضافة إلى ذلك، قال العبري إن هناك ركناً لبعض المفردات الثقافية المسجلة على القائمة العالمية لمنظمة «يونيسكو»، مثل الخنجر العُماني وبعض الفنون الشعبية مثل العازي، وهو أحد الفنون المؤداة في بعض محافظات السلطنة، وكذلك المجالس العُمانية لتناول القهوة والمسجلة ضمن ملف عربي مشترك لمجموعة من الدول العربية.

وهذه جميعها وفق ما ذكر، يقدمها الجناح من خلال تقنية «في آر» (الواقع المعزز) ليتمكن الزائر من عيش التجربة رقمياً بشكل يماثل الواقع. وتطرق أيضاً إلى الفنون الموسيقية، وأشهرها فرقة الأوركسترا السلطانية العُمانية، والتي قدّمت عرضاً في مسرح الأوبرا في «كتارا» أمس الخميس وتُقدّم آخر اليوم الجمعة، إضافة إلى ركن للتصوير الضوئي متوافر بشكل يومي. وفي جنبات المعرض ستكون الفنون الشعبية العُمانية حاضرة يومياً، وتؤدى من الفلكلور وصلات من الرزحة والعازي وغيرهما.

وجاءت الدورة الحالية، وهي الأكبر منذ انطلاق أوّل معرض للكتاب في قطر عام 1972، بمشاركة واسعة من دور النشر القطرية والخليجية والعربية والدولية، واتحادات الناشرين من موريتانيا والأردن وتركيا.

من المعرض بعيد الافتتاح (حسين بيضون/ العربي الجديد)

وذكر جاسم البوعينين، مدير «معرض الدوحة الدولي للكتاب»، أن المعرض يحتوي على طابعة رقمية تتولى طباعة الكتب من إصدارات وزارة الثقافة القطرية بشكل مباشر أمام الجمهور.

ولفت إلى أن المعرض هذا العام يأتي بتصاميم جديدة، أبرزها «المنطقة المركزية» التي تقدم فيها شخصيات تاريخية وعلماء لهم بصمة في العلم والثقافة والمعرفة. وأمام تصميم يشبه القلعة الأثرية يقف أربعة بازيات تراثية يؤدون أدواراً تمثل أبا بكر الرازي وأحمد بن ماجد العُماني والبيروني وضياء الدين ابن البيطار».

كما تُقام فعالية «دوحة الأطفال» في خيمة بمساحة 2400 متر مربع، تحتضن ورشاً وفعاليات للأطفال، إضافة إلى مسرح تُقام على خشبته مسرحيات وبرامج ثقافية لهم، وكذلك مشاركة دور نشر مختصة بكتب الأطفال في ذات المكان، زيادة على ذلك هناك معرضان لمركز قطر للتصوير، والثاني لضيف الشرف سلطنة عُمان، مخصّص للطبيعة في عُمان. ويضمّ المسرح الرئيسي نشاطات منوّعة من الندوات والمحاضرات والأمسيات الشعرية، مثل محاضرة المفكر التونسي فوزي البدوي والتي أقيمت مساء الخميس بعنوان «الجدل بين الإسلام واليهودية. قراءة تاريخية وثقافية»، كما ستقام محاضرة للروائي الليبي إبراهيم الكوني حول «الصحراء في الرواية العربية»، وندوة تكريمية للكاتب القطري ربيعة الكواري الذي رحل في شهر مارس/ آذار الماضي. ومن العروض المسرحية، تقدم مسرحية «جميل وبثينة» لـ«فرقة كركلا» من لبنان على «مسرح المياسة» في «مركز قطر الوطني للمؤتمرات»، ومسرحية يومية ينظمها «مركز شؤون المسرح». وضمن البرنامج المصاحب مجموعة من ورش العمل في مجالات متنوعة ثقافية واجتماعية ومهنية، ومعرض للصور الفوتوغرافية تحت عنوان «اقرأ» في جناح «مركز قطر للتصوير». وكانت إدارة المعرض قد بدأت منذ الدورة السابقة بتخصيص مساحة للكتب القديمة، وبدأتها بشارع المتنبي من العراق، وهذا العام حضرت مكتبات سور الأزبكية الشهيرة في مصر. وتحدّث إلى «العربي الجديد» محمد علي عضو مجلس إدارة مكتبات سور الأزبكية، قائلاً إن هذه السوق التي تبيع الكتب القديمة والمستعملة عرفت هذا العام في قطر أولى مشاركاتها الدولية.

وعرج على تاريخ هذه السوق قائلاً إنها بدأت رسمياً في العام 1907، حيث كان الباعة الجائلون يدورون بالكتب على المقاهي في وسط القاهرة لبيعها، وبعد الظهيرة يستريحون عند سور حديقة الأزبكية. وبالتدريج بدأوا يستقرون في المكان، ولكنهم كانوا يتعرّضون للمضايقة والملاحقة من الشرطة والإنكليز، ولدى تقديم بعضهم شكوى إلى رئيس الوزراء مصطفى النحاس عام 1949، صدرت الأوامر بترخيص 11 مكتبة عند السور، وما لبث أن تضاعف عددها إلى أكثر من أربعين في الحقبة الناصرية عقب ثورة 23 يوليو.

واليوم، كما يواصل، يبلغ عدد المكتبات 133 مكتبة، مشيراً إلى أنها أكبر سوق من الكتب في الوطن العربي، بل حتى في العالم لا يوجد مثيل لها سوى في فرنسا، على حد تعبيره.

وأوضح أن الإصدارات المصرية كانت الكبرى في العالم العربي في كافة مجالات المعرفة وفي الدوريات والصحف بحكم موقع مصر الريادي، ما خلف تراثاً من الكتب بطبعاتها القديمة بعدد كبير، حتى أن تجار الكتب القديمة العرب يشترون إلى اليوم من سور الأزبكية، ومنها شارع المتنبي في بغداد.

يخصّص المعرض منذ دورته السابقة مساحة للكتب القديمة

يحتفي بالرازي وأحمد بن ماجد والبيروني وابن البيطار

المعرفة شعاراً

تأسّس «معرض الدوحة الدولي للكتاب» عام 1972، وظلّ يُقام كلّ عامين، حتى انتظمت إقامته سنوياً في 2002. وشهدت الدورة الماضية مشاركة قرابة 500 دار نشر من 37 بلداً، عرضت نحو مئة وثمانين ألف عنوان. وفي دورته الجديدة التي تحمل شعار «بالمعرفة تبنى الحضارات»، يفتتح المعرض أبوابه للزوّار من الساعة التاسعة صباحاً وحتى العاشرة مساءً، عدا يوم الجمعة؛ حيث يفتتح من الساعة الثالثة عصراً وإلى العاشرة مساءً.

قراءة

باسم خندقجي محاولة الوصول إلى الذاتية الفلسطينية

الكتابة من المسافة صفر

تبقى «قناع بلون السماء» نصاً قاسياً، خرجَ من واقعٍ قاسٍ، هو الواقع الفلسطيني، حيث جاء محتلون كي يفرضوا سردية تاريخية مزيفة على بلدٍ بأسره

سومر شحادة

«قناع بلون السماء» للروائي الفلسطيني الأسير باسم خندقجي (1983) رواية من الداخل، ليس من داخل فلسطين المحتلة فقط، وليس لأنّها خرجت من سجون الاحتلال، بل هي رواية تقرأ فلسطين بصوتٍ يخرجُ من عمقِ الذات الفلسطينيّة التي فصمها واقع الاحتلال. إنّها كتابة من المسافة صفر. من لحظة راهنة، هي أحداث حي الشيخ جرّاح (2021)، يقرأ خندقجي حكاية فلسطين، وما إن نعرف أنّ بطلَ الرواية يعمل في الآثار، ويشتغل على رواية عن مريم المجدليّة، حتى ندرك أنّها حكاية لصيقة بالتاريخ كلّه. التاريخ الذي يؤرّق الراوي كي يعيد إخراج نقاط مهملة منه.

ينتحل بطل الحكاية الفلسطيني هويةَ مستوطن إسرائيلي، والصراعات التي تشتمل على الرواية، هي صراعات الواقع الفلسطيني بكل تعقيداته. إذ ينتحل الفلسطيني هوية المستوطن؛ كي يستطيع التجوّل في بلده، والوصولَ إلى أرض روايته التاريخية، حيثُ المستوطنة التي بناها الصهاينة على أنقاض قرية عربية قرب القدس.

إذاً، من استخدام نور لهوية مستوطن يُدعى أور يبدأ شِقاق الهوية بالتأثير على مجمل الحكاية، وبدا أنّ للداخل الفلسطيني الذي يعيش واقع الاحتلال هويتين؛ إحداهما تريد أن تطحن الأخرى، إحداهما نشأت من قتل أخرى. إحداهما مزيَّفةٌ لا تشعر بالانتماء، ولا بأهمية الهوية بالمبدأ. وأخرى فلسطينيّة تدافع عن وجودها، وتحاول استعادة وجهها الأصلي. فالهوية التي وجدها نور، سُرعان ما صارت قناعاً. لكن يؤكد الراوي، ليس ذلك القناع الأبيض الذي يرتديه الرجل الأسود كي يشعر بالانتماء إلى المُستعمِر، وكي يَقبل به المُستعمِر، وإنّما هو قناع لاستعادة رواية المُستعمَرين، قناعٌ أشبه بأداةٍ للنزال، لا للتزلّف أو التماهي مع القتلة.

لكن مصير القناع، مهما كان، أن تنتهي صلاحية استخدامه، أن يتقادم، أن يسقط. ويختار خندقجي، كي يُسقط القناع، وليستعيدَ بطله صورته وأصالته؛ أن يواجهه مع وجهٍ فلسطيني آخر، مع سماء إسماعيل، البنت الفلسطينيّة القادمة من حيفا، البنت العربية التي تنضم إلى فريق التنقيب إلى جانب (أور/ نور) برفقة عدد من الجنسيات الأوروبية، والفتاة الإسرائيلية. وضمن هذا التعدّد، تكون لغة سماء هي الأوضح، ويكون للحقائق التي تحكيها عن الهولوكوست الذي يقوم به الصهاينة يوميّاً ضدّ الفلسطينيّين الصوت الأعلى.

حتى إنّ صوتها كان الأعلى على الصوت الفلسطيني الذي استخدم قناعاً كي يستطيع تدبّر العيش في واقع الاحتلال. وما أسقط قناع نور، ليست عاطفته لسماء، ولا هوسه بها، بل صوتها، جدارتها، أحقيّتها، وهي تعبيرٌ مباشرٌ عن فلسطين التي لا تموت، ولا تتلوّن، ولا تغيّر وجهها. تبقى الكتابة عن المجدليّة مشروعاً يتحدّث عنه نور ويخطط له ويفكر كيف سيكون وكيف سيكتب. لكن فعلياً، لا تتعدى روايته عن مريم المجدليّة، كونها ذريعة يتعلّل بها كي يقول الحكاية التي أراد كتابتها، والرواية التاريخيّة قناعُ سردي لحكايته المعاصرة التي ترتبط بتمزّق الأرض، وبتمزّق الفلسطينيّين بفعل الاحتلال الذي سرق البيوت، وسرق الهوية ويستمر بتجريب السطو على التاريخ. إن محاولات نور لكتابة الرواية، لا تتعدى كونها محاولة للوصول إلى ذاتيّته الفلسطينية التي لم يخربها الاحتلال. إنّها طريقة للتشافي. وهي ليست هروباً من واقع الاحتلال، بقدر ما هي محاولة تجاهل، محاولة كي تُستقيم الحياة في بلدٍ محتل، لا سبيل لأن تكون الحياةُ فيه حياةً طبيعيّةً؛ ببساطة لأنّ الاحتلال قائم، ولأنّ الاحتلال هو المشكلة، وهو الأزمة التي لا تبقى عائمة، بل تنتهي لأن تكون أزمة شخصية مع واقع فرضه الاحتلال. يذهب المرء إلى هذا الاعتقاد، بأنّ الرواية عن المجدليّة ليست أكثر من وسيلة لقهر واقع قاسٍ، عبر الاستعانة بشخصية مراد، الأسير، وهو صديق نور خلف قضبان الصهاينة، يرسل الكتب إليه، يكتب له، ويخبره عن روايته، وكأنّه يرفع تقريره الخاص إلى جهة يريد منها أن تعطيه شرعيّة. وهذه الشرعية التي يعوزها نور ممن هو خلف القضبان، هي شرعيةُ مَن قرّر أن يقاوم، ومن رفض الاحتلال بوضوح.

بمؤازرة هذه الثنائية الواضحة للصديق المقاوم، وللفتاة المقاومة؛ يتكشف القناع الذي لجأ إليه نور، كي يستطيع العيش وسط صعوبات الاحتلال. يتكشّف قناعه عن وهم إمكانيّة هذا العيش، فالاحتلال يرفض الفلسطيني بتعريفه فلسطينيّاً. كما يلمح القارئ وهماً آخر تفتّته الرواية، وهو وهم التسوية السياسيّة مع الاحتلال بالصورة التي هو عليها.

تفسير للواقع أمام اتّساع المأساة واتّساع عملية السطو

كما أنّ النص في جوهره، رفضٌ للهوية التي يريد الاحتلال فرضها على الفلسطينيّين؛ وما تلازم شخصية نور إلا تلازُم للشخصية الفلسطينية التي اعتقدت بإمكانية العيش مع الاحتلال. أقصد، العيش العادي الذي يتجاوز على المجازر، يتجاوز على العنصرية، يتجاوز على التطهير العرقي. هذا وهمٌ تنسفه الرواية. إذ يلقي نور نجمة داوود عن صدره، ويمزّق هوية المستوطن التي انتحلها، ليخرج من تلك التورية بالكامل، وهو إلى جوار سماء في السيارة خارجاً من موقع التنقيب.

هذه اللحظة الانفعالية التي تحدث في النهاية تقدم إحدى حقائق الشخصية. بالمثل، ذلك الوشم «حيفا 1948» الذي وشمته سماء على ساعدها. مواقفُ تمثّل تعريفاً لهذه الشخصيات التي وجدت نفسها تعيش في بلدها، مع عصاباتٍ تهدم بلدها، تجرفه، وقد زرعوا الغابات فوق المقابر الجماعية.

الرواية التي حصلت على «الجائزة العالمية للرواية العربية» (البوكر) لدورة هذا العام، والصادرة عن دار الآداب (2023) نصّ قاس، لأنّه خرج من واقع قاسٍ، وما قد يعتّقده الناقد تأويلاتٍ ورموزاً، لا يعدو كونه مفردات الواقع الفلسطيني ذاته، حيثُ جاء محتلون كي يفرضوا سردية تاريخيّة مزيفة على بلدٍ بأسره. ومفهومٌ أن يعود نور للبحث عن يسوع، وعن تلامذته، وعن المجدليّة. وكأنّها أمام اتّساع المأساة، واتّساع أمداء عملية السطو احتاج نور تفسيراً للواقع، وقرر أن يستلفه من صُلب «ابن الله».

(روائي من سورية)

الكاتبة الفلسطينية سامية عيسى في «حديث الألف» وصورة الكاتب الأسير باسم خندقجي في الخلفية (حسين بيضون)

إطلالة

تزوير للتاريخ تدعمه كتابة خالية من الضمير

الأدب في الخدمة

من مظاهرة تضامنية مع فلسطين في العاصمة اليونانية أثينا، 7 أيار/مايو 2024 (Getty)

من النقاط المظلمة في تاريخ العلاقة بين الرواية والقارئ، أن المشروع الاستيطاني الصهيوني كان قد بدأ في المخيّلة الأدبية قبل أن يتحوّل إلى نظرية وأيديولوجية

ممدوح عزام

في كتابه عن الأدب الصهيوني، يقدّم غسان كنفاني رؤية جديدة تشرح كيف يمكن للرواية أن تشارك بقوّة في تغيير الوعي، وتبديل موقف الأفراد والجماعات من التاريخ، أي أنّ الرواية تشتغل في ميدان آخر، يختلف تماماً عن الميدان الذي يُشيد اليوم بالقراءة، ودور القارئ، غير ذلك من نظريات تضع القراءة مواجهاً لرسالة الرواية، أو فكرتها.

ما قدّمه التاريخ لنا حتّى اليوم، كان يشير فقط إلى أنشطة الحركة الصهيونية في المجال السياسي. أي في تحرّك الأفراد الذين تبنّوا الأيديولوجية الصهيونية لتثبيت الفكرة التي أوجدوها، وعملوا على نشرها، وهي أن اليهود شعب، وليسوا ديناً فقط، وأن عليهم إقامة دولتهم، وقد اختيرت فلسطين منذ البداية أرضاً موعودةً لهم. ما يوضّحه كتاب كنفاني هو أنّ الفكرة تبلورت أيضاً في الأدب، وأنّ الأدب الإنكليزي كان هو موطن تَرسيخ الفكرة ونشرها، بحيث يمكن القول إن مسار الأدب في هذا الحقل قد حقّق ما يمكن تسميته: أثر الأدب في المجتمع، أو أثر الرواية في تغيير الأفكار. وهو أمر غير ملحوظ غالباً في دراسة الأدب، لصعوبة الحصول على إحصائيات أو معاينات تُثبت أنّ شخصاً ما في أيّ مكانٍ غيّر رأيه، وموقفه، ومسار حياته، تجاه مُسألة ما، بفضل رواية.

واللافت في الأمر أن تكون الرواية قد سبقت السياسة في تثبيت فكرة الانفصال بين اليهودي والمجتمع، أي في إيجاد ما سمّاه هاني الراهب الشخصية الصهيونية في كتابه «الشخصية الصهيونية في الأدب الإنكليزي». حيث قدّمت الروائية الإنكليزيّة جورج إليوت، كما يقول كنفاني، في روايتها «دانييل ديروندا» قاعدة عمل صهيونيّة حين جعلت أبطالها يؤمنونَ بضرورة التصميم والعمل على المساهمة في صنع «مستقبل العالم ومستقبل اليهود» و«الاتجاه إلى فلسطين». وهذه هي الإشارة الأكثر خطراً في تاريخ العلاقة بين الرواية والقارئ، فالمشروع الاستيطاني الصهيوني كان قد بدأ في المخيّلة الأدبية قبل أن يتحوّل إلى نظرية وأيديولوجيا، صاغها مؤسّسو الصهيونية بعد صدور هذه الرواية بأكثر من ثلاثين عاماً. لكن العمل الدعائي لا يصنع أدباً، فرواية جورج إليوت هذه، لا تتقدّم إلى المجال الروائي كفنّ، بل إنّ هنري جيمس وصف الفصل الخاص بميول الشخصية الصهيونية بأنّه يسقط إلى قعر البرود، وإنّه فاشل فنّياً.

سوى أنّ تأثير الرواية في الأوساط الصهيونية كان قوياً، لا يحقل القارئ المسيّس بالفن. الأمر يتكرّر في التاريخ كثيراً فالرسالة السياسية، أو تقديم الفكرة، وخاصّة إذا كُتبت من قبل كاتب مُقتدر، تستطيع تجاوز الفن، والعمل في الأوساط الملائمة لها، إذ إنّ الخطاب كان موجّهاً بالدرجة الأولى إلى اليهود، لتأصيل شخصية الصهيوني، خاصّة أن كثيراً منهم كان يقاوم الفكرة.

الطريف أن نُشهد في بداية القرن الواحد والعشرين يهوداً ينكرون ذلك التاريخ. يمكن لكتاب المؤرخ شلومو ساند «اختراع الشعب اليهودي» أن يكون علامة تضع الحقيقة من جديد في موقعها الطبيعي، أي حقيقة أنّ الدين لا يشكّل قومية، وأنّ وجود «إسرائيل» نفسه مبنيٌ على تزوير للتاريخ، يدعمه الأدب الخالي من الضمير.

(روائي من سورية)

سبقت الروايةُ السياسة في اختراع الشخصية الصهيونية

من معرض الدوحة

في الدورة الحالية من **معرض الدوحة الدولي للكتاب**، والتي تشهد مشاركة قرابة 515 دار نشر من 42 بلداً، تحضر ثماني مكتبات من سور الأزبكية التاريخي في مصر لبيع الكتب القديم. تأتي المشاركة في إطار استقطاب المعرض أسواق الكتب التاريخية؛ حيث استضافت الدورة السابقة شارع المتنبّي من العراق.

في جناح H5-37 بـ«مركز الدوحة للمعارض والمؤتمرات»، يشارك **المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات** في فعاليات الدورة الثالثة والثلاثين من المعرض، والتي انطلقت أمس الخميس وتتواصل حتى الثامن عشر من أيار/ مايو الجاري. يضمّ الجناح إصدارات المركز في الفلسفة والفكر واللغة والعلوم والإنسانية والاجتماعية، إضافة إلى كتبه المنشورة ضمن سلسلة «ترجمان».

ضمن فعاليات برنامج ضيف الشرف في المعرض، تُقام عند السادسة والنصف من مساء الجمعة المقبل، جلسة بعنوان **تجارب في الرواية العُمانية**. تتضمن الجلسة، التي تُديرها بشاير السليمي، شهادات إبداعية للروائيّين **محمد العجمي**، و**طارق المنذري**، و**شريفة التوبية**، و**زوينة الكلبانية**.

في المنطقة المركزية بمعرض الكتاب، يُقيم «مركز قطر للتصوير» معرض **اقرأ** الذي يضمّ الأعمال المشاركة في النسخة الثانية من مسابقة التصوير الفوتوغرافي التي ينظّمها المركز بالعنوان نفسه. تضيء الأعمال المعروضة، لمصوّرين من بلدان الخليج العربي، فعل القراءة وأهمّيته.